الجغرافي الإدريسي – وآثاره عند المستشرقين
(دراسة تحليلية)

د. رندة اللبابيدي[1]

1 أستاذ مساعد، قسم الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

الملخص:

ازدهرت حركة الاستشراق Orientalisme عند الأوروبيين منذ عام (1779م)، والذي يهتم بدراسة أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وحضارتها وتاريخها وأعمال روادها في جميع الميادين بالبحث والتحقيق والترجمة ليستنيروا بها طريقهم العلمي، وازداد ذلك النشاط بعقد مؤتمرات المستشرقين، وكان الأول في مدينة باريس عام (1873) لمناقشة الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته، بالإضافة إلى إقامة معاهد مستشرقة في مدنه ، كالمعهد الفرنسي في القاهرة ودمشق.

تم في هذا البحث إظهار إنجازات العالم الجغرافي الشريف الإدريسي ودورها في أبحاث المستشرقين الأوروبيين ومستوى اهتمامهم بشخصيته وسيرته وأيضًا بأعماله وما أضافه إلى علم الجغرافية الأوروبية، ولهذا تم استخدام مناهج علميّة عدّة، مثل المنهج التاريخي، والاستقرائي الاستنتاجي، والوصفي – التحليلي للوصول إلى نتائج البحث، والتي تمثلت في أن المستشرقين، على اختلاف تخصصاتهم العلمية ومناصبهم الإدارية، بحثوا في آثار الشريف الإدريسي المختلفة ولكن الأكثر تحقيقًا ونشرًا كان في مخطوطة "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ويصل عدد المستشرقين الذين اهتموا بسيرته وأبحاثه يفوق الخمسين من (12) دولة أوروبية مختلفة، وأولّها هي دولة ألمانيا وفرنسا وإيطاليا.

الكلمات مفتاحية: الاستشراق، مخطوطة، مستشرق، الشريف الإدريسي.

تاريخ الايداع 2022/3/6
تاريخ القبول 2022/6/22

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

The geographer Al- Sharif Al-Idrisi - and his impacts on the Orientalists (An analytical study)

Dr. Randa Lababidi [1]

[1] Assistant Professor, Department of Geography, Faculty of Arts and humanities, Damascus university.

Received:6/3/2022
Accepted:22/6/2022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Abstract:

The Orientalism movement flourished among Europeans since (1779) AD. It is interested in studying the conditions of Eastern peoples, languages, civilization, history and deeds in all fields of researches, and investigation and translation to show their scientific path. It increased by holding conferences, and the first was Paris in (1873) to discuss studies About the Orient, its religions and civilization, in addition to construction Orientalism institutions in East cities, such as the French Institute in Cairo and Damascus.

In this research, it was shown the achievements of Al- Sharif Al-Idrisi,and its roles in European Orientalists researches and their dedications in his personality, biography, his work and what he added to the European Geography, by using Scientific methodologies, such as historical, inductive-deductive, descriptive-analytical, were used to reach the results of the research. These were represented by orientalists, with different scientific specialities and administrative positions. They researched the various effects of Al- Sharif Al- Idrisi, but the most common and published in the manuscript " Nuzhat al-mushtaq fi ikhtiraq al-afaq", and the number of orientalists who were interested in his biography and researches was About fifty, they were from (12) different European countries , the first ones were Germany, France and Italy.

Keywords: Orientalism, Manuscript, Orientalist, Al- Sharif Al Idrisi.

المقدمة:

أثرت التوسعات الإسلامية إلى أقاصي العالم من الهند شرقًا إلى جنوبي فرنسا غربًا على تمازج العلوم وتنوعها بظهور علماء عرب أبدعوا في تطورها، ولعل الحقبة بين القرن (12-11م / 6-5 هـ) تعد فترة الأوج العلمي والنهضة العربية الشاملة ولا سيما في بلاد الأندلس تطرق فيها المهتمون إلى العلوم المعروفة كافة ، ومن بينها علم الجغرافية، الذي كرسه علماؤه بتحديثه وإغنائه منهجًا ومضمونًا.

فالجغرافي الإدريسي ساير بمنهجه وأسلوبه الدراسات اليونانية ولكنه في كتاباته وخرائطه يعد مدرسةً قائمة بذاتها من حيث الأماكن التي وصفها نتيجة رحلاته، والتي أضحت أصولًا يرجع إليها العلماء في أبحاثهم، فالدراسات الإدريسية ألهمت المستشرقين الأوروبيين لترجمتها والاستفادة منها والتعليق عليها والاحتفاظ بمخطوطاته في مكتباتهم وكذلك العلماء العرب الذين عاصروا الإدريسي وحتى وقتنا الحالي.

أهمية البحث:

تعد إنجازات العلماء العرب في مجمل العلوم محط أنظار المستشرقين الغربيين واهتمامهم لتكون سندًا لابتكاراتهم العلمية . ولهذا لا بد من إلقاء الضوء على دور آثار الجغرافي الإدريسي ومكانته عند هؤلاء المهتمين بأبحاثه وآرائهم ومواقفهم فيما ابتكره وذكره في أعماله الجليلة.

مشكلة البحث:

إن الأبحاث العلمية المنجزة في مجال دراسة الحضارة العربية الإسلامية تتصف بقلتها ، ولا سيما الأكاديمية منها ، والتي تعد رصيدًا ثمينًا متعدد الجوانب العلمية والنظرية والتطبيقية تستهوي المستشرقين الغربيين لترجمتها والتحقيق بها ومناقشتها تبعًا لأهوائهم وميولهم الذاتية .

أهداف البحث:

1- إبراز جوانب الأدب الجغرافي والمنهجي عند العالم الإدريسي .

2- دراسة مكانة الإدريسي عند المستشرقين الأوروبيين وتحليلها.

3- الوقوف على مختلف منجزات المستشرقين وما اقتبسوه من كتاباته.

4- الاستدلال لأهم الدول التي اهتم مستشرقوها بأعمال الإدريسي.

مناهج البحث:

1- المنهج التاريخي: تم استخدامه لإظهار الفترة الزمنية التي أولى فيها المستشرقون اهتمامهم بأعمال الإدريسي ولتتبع أبحاثهم .

2- المنهج الوصفي – التحليلي: وذلك لإبراز أهمية ما تركه الإدريسي في الجغرافية الوصفية والخرائطية في أبحاث المستشرقين.

3- المنهج الاستقرائي الاستنتاجي: تم الاطلاع على مصادر مختلفة اهتمت بأعمال المستشرقين وضمّت المئات من شخصياتهم وأعمالهم ، وتم تحليلها لاستخلاص المهتمين منهم وجنسياتهم بأعمال الإدريسي وإظهار دورها في الجغرافية الأوروبية.

الدراسات المرجعية:

1- سلسلة " المستشرقون " للباحث نجيب العقيقي (1980) في أجزائها الثلاث، ذكر فيها دور المستشرقين في فهرسة المخطوطات وجمعها وتحقيقها ونشرها ، وقد بلغ حرصهم عليها انهم نشروا بعضها في أكثر من سبع طبعات لتصحيح أخطاء أوائلهم والبلوغ بها حد الكمال ، مثل كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي.

2 – مرجع للباحث حسين مؤنس " تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس " (1986) ذكر فيه أن الشريف الإدريسي يعد أول جغرافي متخصص في علم الجغرافية وأخرج فيها ما لم يخرجه عالم قبله ، وبذلك رفعها إلى صف العلوم الميدانية ؛ منهجًا وتناولًا واستيعابًا.

3– كتاب للباحث شاكر خصباك بعنوان "في الجغرافية العربية (دراسة في التراث الجغرافي العربي)" (1988) عالج فيه منجزات الجغرافيين العرب في الميادين جميعها ، ومن بينهم الجغرافي الإدريسي ،إذ أكد الباحث أن المفهوم الاقليمي ذي الملامح البطليموسية – اليونانية لا تزال سائدة في كتاباته، وأن المستشرقين الغربيون اتفقوا على أن الإدريسي يمثل قمة ما حققه العرب والمسلمون في مضمار الكتابة الجغرافية.

4– رسالة ماجستير للباحثتين سعاد بن حدو ونعيمة قيطون (2011–2012) بعنوان "الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية " تم فيها إظهار تعريف الاستشراق وأهدافه ووسائله، وذكر بعض أعلام الاستشراق، ومناهجهم في نشر التراث العربي.

5– معجم "أسماء المستشرقين"(2019) للباحث يحيى مراد أورد فيه العشرات من المستشرقين وبترتيب أبجدي عالج بعضهم أبحاث الإدريسي، مثل: الألماني فرايتاج ج. والبولندي ليفيكي ت. والإيطالي سكيابارللي س. وغيرهم.

من خلال الاطلاع على تلك الدراسات، التي ذكرت العالم الإدريسي وإنجازاته العلمية لم تتطرق إلى المنهجية التي اتخذت بهذا البحث بل كانت مصادر أغنته بالمعلومات.

النتائج والمناقشة:

حياة الإدريسي (1100 – 1166م. 493 –560 هـ.):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد – العلوي الإدريسي لانتمائه لآل البيت، ونسبة إلى دولة الأدارسة في المغرب لذلك لقب بالشريف الإدريسي وقد تم إإضافة إلى أسمه أمير المؤمنين العالي بأمر الله (حسين، 1986، 171)، ولد في مدينة سبته وانتقل في حداثته إلى مدينة قرطبة بالأندلس، والتي كانت مركزًا ثقافيًا وعلميًا كبيرًا، ودرس في جامعتها العلوم والرياضيات، وبذلك عرف بالأندلسي الحسيني، كان الإدريسي يتقن الحساب والهندسة، واهتم أيضًا بالفلك والتاريخ والجغرافية لذلك كان مولعًا بالأسفار، فقد زار أقاليم عديدة من البلدان الإسلامية والأوربية مثل لشبونة وسواحل فرنسا وإيطاليا حتى الجزر البريطانية، وبهذا يعتبر الإدريسي من أكبر الجغرافيين والرحالة العرب وهذا ما أكسبه خبرة في المعلومات الجغرافية التي وردت في مؤلفاته وزادها قيمةً حسّه الجغرافي ووصفه الجيد ومهارته في إعداد وصناعة الخرائط (حسين،1989 ،95)، والتي تعتبر المصدر الأساسي والمرجع الأول لدى الجغرافيين الأوروبيين (يسري،1981 ،69)، وهذا يعكس الفترة الزمنية التي عاش فيها الإدريسي وهو عصر الابتكار والإبداع عند الجغرافيين العرب في شتى الميادين الفلكية والرياضية وفي الجغرافية الوصفية والخرائطية، والتي سميت بحق (الجغرافية العربية)، إذ يمثل روادها درجة عالية في البحث المبني على الاختبار الشخصي والمعرفة المكتسبة من السفر والتأليف الجغرافي الناضج ولمدة ثلاثة قرون (شاكر، 1988، 11)، والذي ساعد الإدريسي على ذلك اقامته في جزيرة صقلية عام (1139 م – 533 هـ) بناء على دعوة ملكها النورماني روجرز الثاني، والتي كانت عاصمتها "باليرمو" مركزًا ثقافيًا مهمًا في تلك الفترة.

منهج الإدريسي في كتاباته:

ذكر المستشرق (كراتشكوفسكي – روسيا) أن مؤلفات الإدريسي في الجغرافية تمثل بكل تأكيد ظاهرة ممتازة في محيط الأدب الجغرافي العربي خاصةً وفي النشاط العلمي لجميع العصور الوسطى عامةً (اغناطيوس،1963 ،224). من هذا لابد من إلقاء الضوء على أهم الإإنجازات المنهجية التي ابتكرها الإدريسي:

1– ربطت أعماله الجغرافية الفلكية – الرياضية والوصفية – الإقليمية، كما أشارت المستشرقة (هونكة – ألمانيا) (الإدريسي، 1971، 4)، ولا سيما في مؤلفه الشهير "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" والذي أتمّ تأليفه عام (1150 م – 538 هـ) فهو يعد موسوعة جغرافية قيمّة بقيت المصدر الأول لعلماء أوروبا والشرق لأكثر من ثلاثة قرون (الإدريسي، 1971، 2)، ويعتبر هذا الأثر العلمي

مكملًا للأطلس وشارحًا له على أرجح الأقوال، لهذا ناسب أن تأتي دراسته لاحقة للأطلس والكرة الفضية، وذلك حسب التتبع الزمني لمراحل التأليف لدى الإدريسي. وهذا الكتاب هو الذي جعل له هذه الشهرة بين الشرقيين والغربيين على حد سواء.

2- الاهتمام برسم الخريطة وشرح محتواها بإظهار العالم المعروف آنذاك ، والتي بيّن عليها المعمور منه والمغمور؛ إذ اشتملت على (2064) اسمًا وباللغة العربية وتبدأ من قرب الدائرة القطبية شمالًا (شاكر، 1988، 111) حتى خط الاستواء الذي تم تحديده في أعلى الخريطة، وأظهر منابع نهر النيل والبحيرات الاستوائية، أي على الأماكن التي لم يكتشفها الأوربيون إلا في العصر الحالي، وهي أكثر خرائطه طرافةً ، فهي تثبت أن معارف العرب في جغرافية أفريقيا أعظم مما ظنّ زمنًا طويلًا(لوبون، 2013، 486)، وبهذا تفوق الإدريسي على بطليموس الإسكندري في تصوره للجهات المأهولة في القارة الأفريقية (شاكر، 1988، 91) (الخريطة رقم 1).

الخريطة 1 – خريطة الإدريسي العربية (عن لوبون غ ، ص485)

3- إن صنع نموذج للكرة الأرضية من معدن الفضة بخبرة ومهارة يرى فيها كثير من الباحثين بداية مرحلة جديدة في تطور الخرائط يمكن أن يعبّر عنها بمرحلة النماذج (محمد،1999 ، 214).

4- اعتماد تقسيم الخريطة إلى (70) إقليما فلكيًا تبعًا لخطوط الطول ودوائر العرض مكنّ الإدريسي من تحديد الموقع الجغرافي للمكان الذي يتحدث عنه ولتشكل أطلس العالم بدلًا من أطلس الإسلام (حسين،1986، 224) نظرًا لاحتوائها على مناطق وبلدان خارج العالم الإسلامي، لذلك لقبّه المستشرق (ميكيل – فرنسا) بالأطلس الإدريسي (اندريه، 1981، 12)، وتمّ وصف كل جزء من أجزائه السبعين بطريقة علمية موضوعية وبهذا تآلف المنهج الوصفي والكارتوغرافي في كتابه، وقد أرفقه بخرائط توضيحية عدة، والذي حمل اسم الإدريسي الكبير، في بعض المراجع لتمييزه عن كتابه الإدريسي الصغير(إبراهيم وآخرون،2011,236) الذي عرف به أثره الثاني "روض الأنس ونزهة النفس"، والذي تم اختصاره في كتاب "أنس المهج وروض الفرج"، وأضاف فيه الإدريسي إلى الأقاليم السبعة المعروفة إقليما ثامنًا جنوب خط الاستواء.

ونتيجة لخبرة الإدريسي بعلم الطب والعلاج بالنبات والأعشاب ومنافعها ومنابتها (نقولا،1956، 39) ألّف كتاب" الجامع لأشتات النبات" وله أسم آخر " الأدوية المفردة". من هذا نستنتج أن آثار الإدريسي العلمية المكتوبة تحمل أسماء عدة نظرًا لأهميتها بين قارئيها، والتي تعد أبرز الإنتاج العلمي الإسلامي لذلك لقب بأشهر جغرافي الأندلس (علي،1997، 92).

الأدب الجغرافي عند الإدريسي:

حظيت إنجازات الإدريسي العلمية باهتمام العلماء والموسوعات الكبرى مما جعلها مرجعًا رئيسيًا ومؤكدًا في كتاباتهم عن المنطقة المراد دراستها، ويرى بعضهم أن موطن الإدريسي في اقصى الوطن العربي ورحلاته المتكررة وعلاقاته مع النورمانديين في جزيرة صقلية جعل كتابات العلماء المسلمين عنه قليلة مع أنه استند إلى مؤلفاتهم في كتابه، مثل العالم الخوارزمي في تقسيمه للعالم إلى أقاليم عرضية، ولكنه أضاف إلى المذهب التقليدي وجداول الأقدمين في تثبيت تلك المواقع وحساب المسافات بينها (فاضل، 1979، 68) وتقسيمه الطولي للحصول على (70) إقليما مبتدًا من جزر الخالدات غربًا، في المحيط الأطلسي، لتحديد خط الطول الأول ومتابعًا بذلك أعمال بطليموس (حسين،1986، 207) بعد تصحيحها وإضافة إلى تقسيمه العرضي للعالم الاقليم السابع وكثير من المواضع الجغرافية(حسين،1986، 199) لذلك فإن خرائط الإدريسي ذات أثر كبير في تصوير الدنيا للأوربيين بعد عصره لكونها تشمل الأرض كلها على أنها كل واحد. إضافة إلى ذلك أشار الباحث مؤنس إلى أهمية كتاب الإدريسي في دراسة علم الجغرافية عند الأندلسيين وباللغة العربية حيث لا يوازي ما كتب عن جغرافية الأندلس من مؤلفات سابقة والتي اعتمدت على الترجمة --- ونزهة المشتاق هو تتويج لجهود كثيرة سابقة وتجميع طيب لمادة غزيرة قامت على تقليد أندلسي عريق في التأليف الجغرافي (حسين،1986 ،21).

ولكن مع ذلك هناك بعض المآخذ على إنجازاته، مثل:

1- إن تقسيم الإدريسي للعالم إلى سبعين جزءًا جعل وصف البلد الواحد موزعًا على أكثر من جزء، ولا سيما في الدول ذات المساحات الشاسعة كإيران مثلًا.

2- يلاحظ أن أوصاف الإدريسي لأجزاء الأقاليم غير متساوية في الدقة وكمية المعلومات الموزعة على كل قسم.

3- اختلاف مصادر الإدريسي بين الشرق والغرب جعله يستخدم الميل العربي في مواضع ولا يستخدمه في مواضع أخرى.

4- إيراد بعض الخرافات، مثل التوسع في نقل حكايات مع العلم أنه رد بعض الخرافات مثل قوله وهذه الحكاية يتهم المخبر بها، وفي موضع آخر يقول وهذه القصة محال وقوعها.

5-عدم وجود خطوط الطول ودوائر العرض في الخريطة التي ابتدعها الإدريسي.

الخريطة رقم 2- خريطة الإدريسي لبحر الروم

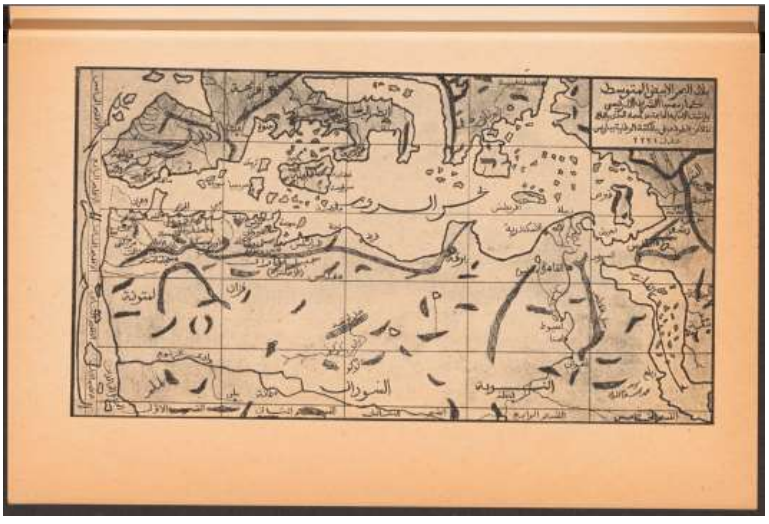

المصدر– احمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا. ص 128.

مكانة الإدريسي الأوروبية:

يعد الإدريسي نقطة احتكاك بين الحضارتين الشرقية والغربية في كتاباته وفلسفته، إذ كان يمثل وجهة النظر الغربية لدى العرب وطريقة تفكير العرب للأوربيين، لذلك أطلق عليه الغربيون استرابون العرب (فاضل، 1979، 70).

لذلك فالمنهجية العلمية التي ابتكرها الإدريسي والمخطوطات التي ألفّها كانت محط اهتمام معظم مستشرقي الدول الاوربية خاصةً منذ القرن(17) وما تزال، أي بعد ستة قرون من وفاته، ومن أوائل تلك الدول فرنسا وبريطانيا، ثم تتالت إنجازات المستشرقين الألمان والأسبان في القرن (18) وجاء الاهتمام بمنجزاته متأخرًا في الدول الأوروبية الأخرى، أي في القرن(19) مثل ايطاليا والسويد وإيرلندا، وتبعها ظهور آثار اهتمام من الدول الأوروبية السلافية في القرن العشرين مثل يوغوسلافيا، تشيك، بولندا، روسيا، والشكل (رقم 1)يبين الفترة الزمنية التي تعد الأوج في عدد المستشرقين الذين اهتموا بأبحاث الإدريسي.

زد على ذلك، هناك مستشرقان راهبان من أصل لبناني يقيمان في مدينة روما بحثا أيضًا في الإنجازات الجغرافية للإدريسي وكان هذا في القرن (17) الجدول رقم –1–

الجدول رقم 1: التسلسل الزمني للمستشرقين تبعًا لدولة المنشأ

الدولة	المستشرق	تاريخه	عدد مؤلفاته	المستشرق	تاريخه	عدد مؤلفاته
ألمانيا	روزنموللر ف	1767 -1835	1	زايبولد ك.	1859-1921	2
	فرايتاج ج.	1788 -1861	1	هوروفتس ج.	1874-1931	1
	جيلديماستر ج.	1812 -1890	1	مايرهوف م.	1874-1945	2
	بارت هـ.	1821 -1865	1	فييت ج	1887-1971	1
	نولدكه ث.	1836 -1930	1	ويتك ب.	---- - 1955	1
	ميلر أ.	1844 -1933	1	كيسلنج هـ.	---- - 1977	1
	-----	-------	---	هونكة ز.	1913-1999	1
فرنسا	هربلو ب.	1625 -1695	1	جاستون	1846-1916	1
	جانييه ج.	1670-1740	1	فرّان ج.	1864-1935	1
	جوبيير أ.	1779-1867	1	بلليو ب.	1878-1945	1
	رينو ج.	1795-1867	2	بيلا ش.	-1914 ---	1
	دوزي	1820-1883	2	ميكيل أ.	-1929 ---	1
	سوفاجيه ج.	1901 -1950	1	بلاشير ر.	1900-1973	1
	جويار س.	1824-1884	1	لامير	-1949 ---	1
إيطاليا	أماري م.	1806-1889	2	فورلاني ج.	1885-1963	1
	إسكيابرللي س.	1841-1919	1	أماري م.	1806-1889	2
	جويدي أ.	1844-1935	1	روبينانشي ر.	--- - ---	2
	نللينو ك.	1872-1938	1	نيوبالدي ب.	--- - ---	1
	----	-----	---	ريموندس	--- - ---	1
إسبانيا	كونده خ.	1765-1820	1	دوبليرس.	1915- 1969	1
	سابيدرا أ.	1829-1912	2	بلازكيت أ.	--- - ---	1
هولنده	دي خويه م.	1836-1909	1	بروفنسال	--- - ---	1

يوغسلافيا	تالجرين أ.	ق 19–20	1	تالجرين توليو	ق19 – 20	1
روسيا	كراتشكوفسكي أ	1883–1951	1	بلياييف ف.	1895–1964	2
بولندا	ليفيكي ت.	ق20	4	كوبياك ف.	ق 20	1
بريطانيا	هايد ت.	1636–1703	2	----	---- – ---	---
إيرلندا	دوسلان ب.	1801 –1878	1	-----	--- – ----	---
السويد	براندیل	--- – ----	1	-----	---- – ---	--
تشيك	مشيك هـ.	ق 20	1	-----	--- – ---	---
لبنان	الصهيوني ج.	1577–1648	1	الحصروني .	--- – 1626	1

المصدر: من عمل الباحث بالاستناد إلى: الدراسة التحليلية – النظرية للمصادر

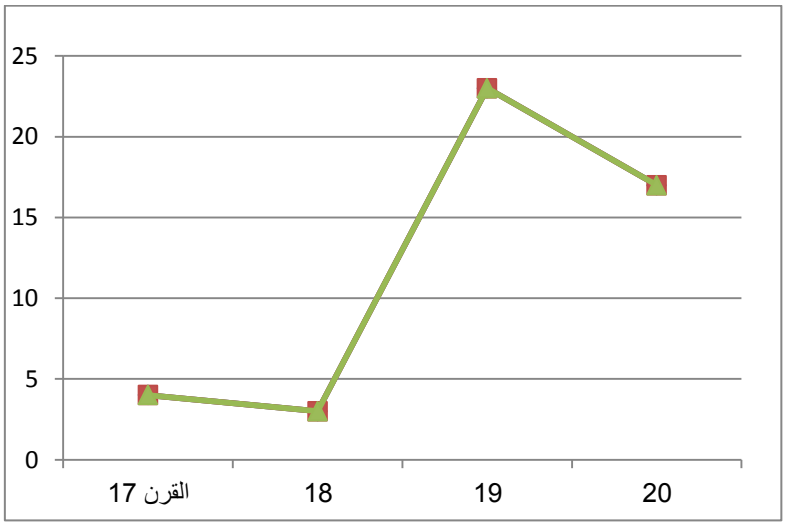

الشكل رقم 1: التطور الزمني لعدد المستشرقين الباحثين في اعمال الإدريسي

المصدر من عمل الباحث بالاستناد إلى: بيانات الجدول رقم1

نستدل من بيانات الجدول أيضًا أن معظم المستشرقين استفادوا من إنجازات الإدريسي بنشر بحث أو أكثر.

ولم يقتصر عمل المستشرقين على ترجمة أعمال الإدريسي بل أضافوا تعليقات عليها ونشروا ملخصات لها في مجلات علمية مختلفة، مثل مجلة جمعية العلماء والمجلة الشرقية الألمانية ومجلة الرياضيات والطبيعيات، ومجلة الأندلس الإسبانية ومجلة الأوراق الشرقية، ومجلة الجمعية الجغرافية المصرية وفي دائرة المعارف العالمية والإسلامية، ومجمع العلوم البولوني وغيرها (يحيى،2019، 653). وقد جاء في دائرة المعارف الكبرى أن كتاب الإدريسي هو أكمل كتاب جغرافي تركه لنا العرب، وإن ما دققه الإدريسي من تحديد المسافات، وما حققه من دقائق الوصف يجعل هذا الكتاب وثيقة نفيسة لعلم الجغرافية في مستهل القرون الوسطى (أحمد،1945، 237).

بالإضافة لذلك، لا تزال نسخ عدة من مخطوطة "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" تمتلكها المكتبات وتزخر بها دار الكتب العالمية، منها: المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (2221) (أبو عبيد،1968، 22)، والتي تجمع (1654) نسخة كاملة منها (نجيب 1980– أ،142) ومكتبة جامعة مونبلييه (H299) ومكتبة آل مديتشي في روما وفي المتحف البريطاني ومكتبة جامعة بون، وكذلك الأمر لكتاب"روض الأنس ونزهة النفس" له مختصر في مكتبة حكيم أوغلو في إستانبول برقم (688) (حسين،1986، 226) ولأهمية مخطوطة "نزهة المشتاق" كانت من أوائل الكتب العربية التي عرفت الطباعة في روما منذ عام (1592) وترجمتها إلى اللغة اللاتينية عام (1619)، وتم طبع النص أيضًا في مدينة ليدن ومدريد وفي مدينة بون (ابراهيم،2011، 238)، وقد جمع

نفر من المتخصصين صورًا من قطع المخطوطة والعمل في نشرها كاملةً في المعهد الإيطالي للشرق الأدنى، أما المستشرق (دي خويه –هولندا) فقد أشرف على إصدار المكتبة الجغرافية العربية في ثمانية مجلدات (1870–1894 م.) له فيها نزهة المشتاق للإدريسي، والتي تعتبر مرجعًا مهمًا للجغرافيين العرب ومؤلفاتهم (صلاح الدين،1978، 122).

عدا عن ذلك، اتخذ المستشرق (هربلو– فرنسا) كتاب جغرافية الإدريسي مرجعًا لتصنيف مكتبة شرقية جامعة لكل ما يتعلق بالشرق من معارف ومعلومات ولترتيب موادها هجائيًا (عبد الرحمن،1993، 603)، وقد أخذ المستشرق (دوسلان – ايرلندة) التعليق على أسلوب ترجمة كتاب الإدريسي الكبير من مستشرقين آخرين، مثل الفرنسي جوبير، والتي تم نشرها في المجلة الآسيوية، وهذا يدل على درجة اهتمامهم بأعماله لأنها تعد مرتكزًا لدراساتهم؛ إذ ظل كتاب جغرافية الإدريسي، وهو لقب آخر لكتابه نزهة المشتاق مرجعًا جغرافيا لأوروبا طوال ثلاثة قرون (محمد،1950، 222).

زد على ذلك أن المستشرقين المختلفين بتخصصاتهم العلمية وبمراكزهم الادارية وبمناصبهم الحكومية اهتموا بما انجزه الجغرافي الإدريسي وذلك لما عرفوا عنه بابتكاراته وشخصيته الفذة وسعة أفقه العلمي وآثاره القيمة، التي ألهمت ملك جزيرة صقلية روجرز الثاني أن يستضيفه في مجلسه، لذلك لابد من اظهار تلك الجوانب التي أبرزوها في مؤلفاتهم:

1– دراسة الجوانب العامة لشخصية الإدريسي:

اهتم بعض المستشرقين بالكشف عن السيرة الذاتية للإدريسي ورحلاته (دوبلير– إسبانيا ، كيسلنج– ألمانيا)، وبعضهم وصفه مع مجموعة من الجغرافيين العرب، مثل (ميكيل ، رينو – فرنسا) لبيان مناهجهم الفلكية والرياضية ومدى معارفهم الجغرافية (عبد الرحمن،1993، 323)، والمستشرق (بويغز– إسبانيا) ألّف مقال بيبلوغرافي عن المؤرخين والجغرافيين الإسبان والعرب، ومنهم من كتب مقالًا عن حياة الإدريسي (زايبولد – ألمانيا) وتم نشرها في المجلة الشرقية، أو تم مقارنته مع العالم بطليموس على يد (مشيك – تشيك)، والمستشرق (ليفيكي – بولندا) ألّف "الإدريسي وتاريخ الثقافة "وله نزهة المشتاق في الدراسات المغربية (1966 م)، أما المستشرق (جوتيه) فأشار إلى أن الشريف الإدريسي كان أستاذ الجغرافية علّم أوروبا هذا العلم لا بطليموس ولم يقع في الأغلاط التي وقع فيها بطليموس في هذا الباب (عبد الرجمن،1993، 222)، ويساند ذلك ما ورد في المراجع بأن من كتبه التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية تعلمت أوروبا علم الجغرافية في القرون الوسطى (غوستاف،2013، 485)، وللمستشرق (كراتشكوفسكي – روسيا) له رأي آخر بألا يمثل منهج بطليموس في الوسط العربي والإسلامي المتأخر سوى الإدريسي (اغناطيوس،1963، 224).

2– دراسة الجوانب العلمية للإدريسي:

من خلال الاطلاع على منجزات المستشرقين نتيجة قراءتهم لأعمال الإدريسي واهتمامهم بها نجد أن ما تم كتابته لا يمت بصلة مع تخصصاتهم العلمية، فمنهم من نشر قطع من تلك المخطوطة، وكان أولهم المستشرق الإيطالي أماري إسكيابرللي (عام 1878) في مدينة روما، والتي تضم المقدمات والجزأين الثاني والثالث من الإقليم الرابع، وكذلك أجرى (زايبولد – ألمانيا) طباعة أجزاء ونشر أقساماً منها (الإدريسي،1971، 3) وتم ترجمة كتابه "نزهة المشتاق" بشكل كامل مع خرائطه على يد المستشرق (روزنمواللر– ألمانيا، جوبير– فرنسا) وعلّق عليها (جويار– فرنسا) (أحمد توفيق،1945، 245)، وكذلك عني المستشرق (تالجرين– يوغوسلافيا) بكتاب الإدريسي متنًا وترجمة ودراسة في (242 صفحة) وبذكر نبذات عن المخطوطة، مثل(هايد – بريطانيا)، مع العلم أن بعض المستشرقين (فورلاني– إيطاليا) أعطاها عنوانًا آخر" كتاب روجار"، وبعنوان "جغرافية الإدريسي على يد (روبيناتشي– إيطاليا) و"الموجز في الجغرافية" للمستشرق (ريموندیس – إيطاليا) و"الجغرافي العظيم " في كتاب حضارة العرب للرحالة (لوبون– فرنسا)؛ إذ أشار أن هذا المرجع شمل ما قيده المتقدمون في علم الجغرافية وعلى ما رواه عن السياح من المعارف الكثيرة ، وعلى خرائط عدة ،فاقتصرت أوروبة على نسخة بدناءة مدة ثلاثة قرون (لوبون ، 2013 ، 485).

وبعض المستشرقين تحدث عن الآثار الجغرافية للإدريسي مثل (بلياييف – روسيا) ، ومنهم من ترجم مختصر المخطوطة (نيوبالدي–ايطاليا، جاستون– فرنسا) أو جزءًا منها (كوندة– إسبانيا)، وترجم المستشرق (الحصروني – لبنان) منها إلى اللغة

الفرنسية، وبمعاونة زميله (الصهيوني) ترجم القسم الخاص ببلاد النوبة وذيلاه بدراسة عن بعض مدنها وعادات أهلها مع طباعتها، وتناول (جيلد يماستر – ألمانيا) بالدرس والتحقيق جزءًا من المخطوطة وكذلك الأمر عند(ليفيكي، كوبياك – بولندا)، وبعضهم نشر أجزاء منها (نولدكة – ألمانيا) وتم ترجمة مقتطفات منها (هايد – بريطانيا) مطبوعة في المتحف البريطاني.

وبشكل عام يمكن تحديد درجة اهتمام المستشرقين في إنجازات الإدريسي ما استخلصه المستشرق (البارون دي سلان – إيرلندة) بأن كتابه لا يوازن أي كتاب جغرافي سابق له (رندة،2006,158).

ليس هذا فحسب، بل ظهرت اهتمامات المستشرقين أن تكون مخطوطة الإدريسي مصدرًا لوصف أقاليم جغرافية ومدن بعيدة عن موطنهم الأصلي، كمناطق من البلاد العربية، مثل وصف (فرايتاج– ألمانيا) لفلسطين والشام، ومدينة القاهرة (روبيناتشي– ايطاليا)، وبلاد المغرب والأندلس وأفريقيا (دي خويه – هولندا) ووصف سوريا وفلسطين (براندبل ،السويد) وعن تاريخ السودان القديم (بارت – ألمانيا) (صلاح الدين،1978، 43) ووصف شمالي أوروبا مثل فنلندا وبلدان البلطيق الشرقية على يد (تالجرين– توليو – بمعاونة تالجرين م.– يوغوسلافيا) متنًا وترجمة وخرائط وتم جمع تلك الدراسة في(154) صفحة (يحيى،2019، 345) وقد تم اقتباس ما وصفه الإدريسي عن مدينة باخوان الصينية على يد (بلليو – فرنسا) في دراساته واهتمامه ببلدان الشرق الأقصى، وتم طباعة وصف الشام وفلسطين في ليبسك (ميلر– ألمانيا) (الإدريسي،1971، 4) والقسم الخاص بالمغرب والسودان ومصر والأندلس (دوزي– فرنسا).

ولكن بعض المستشرقين ألهمه معرفة ما وصفه الإدريسي عن موطنهم ، مثل وصف إسبانيا (كوندي وبلازكيت – إسبانيا) والقسم الخاص بالأندلس (سابيدرا – اسبانيا)، وتم طباعة الأصل العربي مع الترجمة في مدريد على يد (كوندي – إسبانيا) ووصفه لبلدان أوروبا الشمالية (نولدكة – ألمانيا) ووصف فرنسا وسويسرا (رينو – فرنسا)، وما تم ذكره في كتاب الإدريسي عن الأسماء الفرنسية للأمكنة (بيلا – فرنسا)، مثل مدينة إبريز (باريس) (نجيب، 1980، 353)، وما جاء عن إيطاليا (أماري مع تلميذه اسكيابرلي) بترجمة وتعليق وطباعة في روما، وعن بولندا والبلاد المجاورة لها في جزأين وأيضًا دراسة طريق كييف – فلاديمير التي ذكرها الإدريسي على يد (ليفيكي – بولندا).

من جهة ثانية، استفاد بعض المستشرقين من وصف الإدريسي للمدن وأبنيتها، كجامع قرطبة الذي ألهمه بالترجمة (لامير– فرنسا) وأضاف تعليقات عليها، وبعض المستشرقين استفاد من خرائط الإدريسي، مثل (جانييه و رينو – فرنسا)، وكذلك الأمر عند تعاون (أماري مع ديغور – إيطاليا) لاقتباس خريطة جزيرة صقلية في ماضيها من المخطوطة ومقابلتها بجغرافيتها الحديثة، وقد تم تعاون (كوندا –إسبانيا مع جوبير– فرنسا) على نشر جزء من كتاب "نزهة المشتاق" بخرائطه وترجمته في جزأين، وهذا يدل على تآزر المستشرق مع غيره ولو كان من خارج حدود بلاده للاطلاع على آثار الإدريسي وتحليلها.

من جهة ثانية، يلاحظ أن بعض المهتمين بأعمال الإدريسي كالمستشرق (ميلر– ألمانيا) استخرج من خريطة الإدريسي للعالم بعد جمع أجزائها السبعين مصوره الشهير عام (1931) وكتب أعلامه بالحروف اللاتينية ونشره (محمد،1999، 217)، والتي اعتمد عليها المجمع العلمي العراقي لإخراج خريطة جديدة عام (1951) (عبد الرحمن،1995، 236) بأبعاد (2 م × 1م)، وعلى ذلك ألّف المستشرق (ميلر) أطلس الخرائط العربية بالاستناد إلى الخرائط الكاملة الموجودة في مخطوطة الإدريسي بإستانبول، والتي تظهر مستواه في رسم الخرائط، لذلك أثبت بعض المستشرقين أن مرحلة الخرائط الإدريسية تعد الأوج الذي بلغه تطور الخرائط العربية وتشكيل الأطلس الإدريسي (أغناطيوس،1963، 318).

ولكن ما يثير الانتباه أن بعض المستشرقين (ميلر – ألمانيا) أرجع خرائط الإدريسي بعد تدقيقها وتفحصها ولمعرفة أصولها التي ذكرت في كتابه على أنها ليست للعالم بطليموس بل هي نسخ من خرائط مرينوس الصوري وأخذ الإدريسي على أنها لبطليموس نفسه (حسين،1986، 205)، وهذا يدل على أن بعض المهتمين بأعمال الإدريسي أخذ بالتنقيب عن مصدر خرائطه وهل هي من جهده الخاص أم نقلًا، وهناك من صحح ما تم نشره من زملائهم المستشرقين، مثل (سابيدرا – إسبانيا)؛ إذ نشر جزءًا من "نزهة المشتاق"

مصححًا ومعدلًا مع إضافة مقدمة وشروح وفهارس ما نشره (دوزي – فرنسا و دي خوي – هولندا) اللذان ترجما ما ذكره الإدريسي عن مدينة قرطبة والجزء الخاص بأفريقيا والأندلس، وكذلك الأمر عند (الفرنسيان بلاشير وسوفاجيه)اللذان ألفّا كتاب (قوانين تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها) عام (1988) لتحقيق المخطوطات وطباعتها ومنها تحقيق (د ي خويه – دوزي) القسم الخاص بأفريقية والأندلس من نزهة المشتاق (رائد، 2013 ،459)، وبعضهم يرى أن ما ورد في كتاب "نزهة المشتاق"من صفات البلدان هو نتيجة اطلاع الإدريسي على كتب ما سبقوه من علماء، مثل كتاب البلدان لابن الفقيه (ق 10 م) والبكري ورحلة سليمان التاجر (ق 9 م) والأعلاق النفيسة لابن رسته (ق 10م).

ونقيض ذلك نجده في أن الجغرافي أبو عبيد البكري أخذ صفات بلاد الأندلس، بأنها مثلثية الشكل (أبو عبيد، 1968، 65) وغيرها من جغرافية الإدريسي وكذلك فعلها أبو الفدا في كتابه تقويم البلدان وغيره (شاكر،1988، 107).

من جانب آخر، اهتم بعض المستشرقين بمخطوطة الإدريسي الثانية "روض الأنس ونزهة النفس" لكشف معانيها مثل (هوروفتس وزايبولدا – ألمانيا، تالجرين – يوغوسلافيا، فران – فرنسا)، وهذا الأخير أشار إلى وجود نسخة منها في مدينة دمشق ولكنها منقوصة الخرائط وباعتقاده أنها منسوخة من مخطوطة مكتبة إستانبول، وبعضهم (نللينو – إيطاليا) قام بمقارنة هذا المخطوط مع كتاب "نزهة المشتاق" وبيّن وجود المشابهة والاختلاف في التقسيم ورسم الأعلام.

ومما يغني ذلك، أن المستشرق (مايرهوف – ألمانيا) أشار لأوّل مرة إلى وصف مخطوطة الإدريسي" الأدوية المفردة " (صلاح الدين، 1978، 143) ولجأ إلى البحث عنها أي "الجامع لأشتات النبات " في مكتبة الفاتح بإستانبول ، وهذا يدل على بذل الوقت والجهد للعثور على نسختها الأصلية وذلك لاقتباس ما يخص بالنباتات الطبية، ونشر بها مقالًا في هذا الخصوص في مجلة الرياضيات والطبيعيات عام (1929)، وفي الوقت نفسه ،نشر ترجمة ألمانية لأهم فصول المخطوطة في مقال آخر ، والتي أشار فيها بأن المخطوطة ليست مؤرخة، وكذلك الأمر (دوبلير – فرنسا) استفاد من كتاب الإدريسي هذا فيما يخص العلوم والطب.

إن ما تم ذكره سابقًا وهذا العدد الوفير من المستشرقين الأوروبيين يبيّن لنا اهتمامهم بإنجازات جغرافي مسلم وعربي لا ينتمي إلى قوميتهم ولا يتكلم لغاتهم بل دأبوا على ترجمتها ، ولهذا يأسف الغرب كثيرًا لأن كتابات الإدريسي وابن خلدون لم تترجم إلى اللغة اللاتينية حتى القرن التاسع عشر(عبد الرحمن،1978، 71).

وهناك شهادة بعض المفكرين العرب كالعالم رفاعة الطهطاوي الذي أظهر ، في أثناء إقامته في مدينة باريس، مكانة الإدريسي في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " أنه عرف كثيرًا من الكتب العربية التي اهتم بها المستشرقون مثل "نزهة المشتاق " للإدريسي وتقويم البلدان لأبي الفدا (محمود، 1973. 263).

نتائج البحث:

1– يعد مخطوط "الإدريسي الكبير" هو أكثر اهتمامًا من قبل المستشرقين وذلك لذكره بلدان ومناطق لم تكن معروفة لديهم، في الأغلب ، ولا تمت بصلة عن جنسياتهم.

2– كان اهتمام المستشرقين بالناتج العلمي للإدريسي أكثر من اهتمامهم بسيرته الذاتية.

3– إن المستشرقين الألمان هم أكثر اهتمامًا بأعمال الإدريسي من الدول الأوروبية الأخرى، وهذا يؤكد ما أشار إليه الباحث صلاح الدين المنجد "أن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والإنكليز معًا".

4– يعد القرن التاسع عشر الأوج لاهتمام المستشرقين بأعمال الإدريسي، نحو (50 %) من مجموعهم، ويتجاوز عددهم خمسين مستشرق من أصول أوروبية، والذي ساعد على ذلك تطور الفكر الجغرافي ولا سيما في ألمانيا منذ منتصف القرن(18)على يد الرحالة ريتر، وهامبولت وغيرهم ونشاط رحلات الكشوف الجغرافية الأوروبية وظهور الجمعيات الجغرافية في منتصف القرن(19) التي أسهمت في تمويل تلك الرحلات، وهذا الاجتهاد الأوروبي ادى إلى ظهور أنماط الاستعمار المختلفة للبلدان الأخرى في العالم، وإلى تطوير الفكر الجغرافي بشكل عام.

المقترحات:

1- ضرورة الإلمام بمنجزات العلماء الجغرافيين حفاظًا على التراث الجغرافي.

2- اظهار موقف المستشرقين ودوافعهم من أعمال العلماء العرب وبشكل مستمر وإبراز دورهم في التطور العلمي الأوروبي.

3- توعية المهتمين بالتراث الإسلامي إلى بعض المستشرقين المنتقدين في كتاباتهم بحضارة الشعوب الشرقية وبتراثهم وعقيدتهم.

المراجع:

1- الكتب العربية:

1- أحمد، علي.(1997). تاريخ الفكر العربي الإسلامي. حلب: سورية . منشورات جامعة حلب. ص:208.

2- الإدريسي، أبو عبد الله.(1971). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي. ،بيروت: لبنان. دار الكتب العالمية. ص: 672.

3- الأنصاري، فاضل.(1979). الجغرافية الاجتماعية. دمشق: سورية. منشورات جامعة دمشق. ص:542.

4- البدوي، عبد الرحمن.(1993). موسوعة المستشرقين. ط3. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. ص:284.

5- البكري، أبو عبيد.(1968). جغرافية الأندلس وأوربا – من كتاب المسالك والممالك (487هـ/1094م). تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي. ط1. بيروت: لبنان. دارالارشاد. ص:896.

6- الجوهري، يسري. (1981).الخرائط الجغرافية. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: 432.

7- حجازي، محمود فهمي.(1994). أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص:134.

8- حميدة ،عبد الرحمن.(1995). أعلام الجغرافيين العرب. دمشق: سورية. دار الفكر. ص:720.

9- خصباك، شاكر.(1988). في الجغرافية العربية (دراسة في التراث الجغرافي العربي). ط 1. بيروت: لبنان. دار الحداثة. ص:304.

10- زيادة، نقولا.(1956). الرحالة العرب. بيروت: لبنان. سلسلة ألف كتاب. عدد:97. ص :204.

11- سالم، السيد عبد العزيز.(2001). تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة).الاسكندرية: مصر. مؤسسة شباب الجامعة. ص:456.

12- سعيد، ابراهيم وآخرون.(2011). تطور الفكر الجغرافي. دمشق: سورية. منشورات جامعة دمشق. ص: 574.

13- الشامي ،صلاح الدين.(1980). الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة.الإسكندرية: مصر .دار المعارف. ص522.

14- الشرنوبي، محمد عبد الرحمن.(1978). البحث الجغرافي. القاهرة :مصر. مكتبة الأنجلو مصرية. ص: 171.

15- العقيقي، نجيب.(1980). المستشرقون.ط 4 .ج 1,2,3. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:485.

16- فهيم، حسين محمد.(1989). أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور إثنوغرافي)سلسلة كتب عالم المعرفة. الكويت: الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص:264.

17- كرد علي، محمد.(1950).الإسلام والحضارة العربية. ط2.ج1 .القاهرة: مصر. د. ن. ص:815.

18– اللبابيدي، رندة.(2006). التراث الجغرافي الاسلامي. حائل: السعودية. دار الأندلس.ص:263 .
19– محمدين، محمد محمود.(1999).التراث الجغرافي الإسلامي. ط3. الرياض: السعودية. دار العلوم للنشر. ص:478.
20– المدني، أحمد توفيق.(1945). المسلمون في جزيرة صقلية. ط3. الجزائر: الجزائر. المطبعة العربية. ص:284.
21– مراد، يحيى.(2019). معجم أسماء المستشرقين. بيروت: لبنان. دارالكتب العلمية. ص: 1135.
22– المنجد، صلاح الدين.(1978). المستشرقون الألمان (تراجمهم ومأأسهموا به في الدراسات العربية). بيروت: لبنان.دار الكتاب الجديد. ص:191.
23– مؤنس، حسين.(1986). تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس. ط2.القاهرة: مصر. مكتبة المدبولي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.ص:768.

2– الكتب المترجمة:

1– كراتشكوفسكي، أ.(1963). الأدب الجغرافي عند العرب. ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم.القاهرة: مصر. الادارة الثقافية في الجامعة العربية. ص:1133.
2– لوبون،غ.(2013).حضارة العرب. ترجمة:عادل زعيتر. القاهرة:مصر.مؤسسة هنداوي . ص :667.
3– ميكيل، ا.(1981). الإسلام وحضارته .ترجمة: زينب عبد العزيز. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية.ص:847.

3– **المقال:**

1– الراشد، رائد أمير عبد الله (2013). المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط. مجلة آداب الرافدين، عدد:67، ص 437–466.الموصل:العراق. جامعة الموصل.

4– **الرسالة الأكاديمية:**

1– بن جدو، سعاد وقيطون، نعيمة.(2011–2012). الاستشراق وأثره في الحضارة العربية والإسلامية. رسالة ماجستير. كلية الآداب واللغات. جامعة تلمسان. الجزائر: الجزائر.ص: 202.